

كتب الفراشة - المعارف الميسرة



التِّجارَة

أَعَدَّ كُتُبَ هَذِهِ السِّلْسِلَةِ خُبَراءُ مُتَخَصِّصونَ في المادَّةِ العِلْمِيَّةِ وطُرُقِ تَقْديمِها إلى الأَعِزّاءِ الصِّغارِ. وعُرِضَتِ الحَقائِقُ عَرْضًا مُبَسَّطًا مَنْطِقِيًّا يَصِلُ بَيْنَ الماضي والحاضِرِ، ويُلَبّي تَطَلُّعاتِ أَبْنائِنا ويَسْتَبِقُ أَسْئِلَتَهُمْ، حَتّى لَتَبْدُوَ هَذِهِ السِّلْسِلَةُ مَوْسوعَةً مُبَسَّطَةً تُغَذّي العُقولَ الفَتِيَّةَ.

وقَدْ وُجِّهَتْ عِنايَةٌ قُصْوى إلى الأَداءِ اللُّغَوِيِّ السَّليمِ والواضِحِ. وطُبِعَتِ النُّصوصُ بِأَحْرُفٍ كَبيرَةٍ مُريحَةٍ تُشَجِّعُ أَبْناءَنا عَلى القِراءَةِ. وزُيِّنَتِ الصَّفَحاتُ جَميعًا بِرُسومٍ مُلَوَّنَةٍ بَديعَةٍ نابِضَةٍ، تُوَضِّحُ الأَفْكارَ وتُنَمّي الحِسَّ بِالجَمالِ.

التِّجارَة

ترجمة : أحمَد شفيق الخطيبُ



مَكتبة لبنان

التِّجارَةُ جُزْءٌ مِنْ حَياتِنا اليَوْمِيَّةِ

هَلْ حَدَثَ أَنْ بادَلْتَ صَديقَكَ مَرَّةً سِلْعَةً بِأُخْرى - شَيْئًا لَهُ لَكَ فيهِ رَغْبَةٌ - بِشَيْءٍ لَكَ لَمْ تَعُدْ تُريدُهُ؟ لَعَلَّكُما ناقَشْتُما المَوْضوعَ أَوْ تَفاوَضْتُما في شُروطِهِ وتَفاصيلِهِ بِإيجازٍ. تِلْكَ هِيَ المُقايَضَةُ - وَهِيَ أَبْسَطُ أَشْكالِ ما يُسَمِّيهِ النّاسُ تِجارَةً.

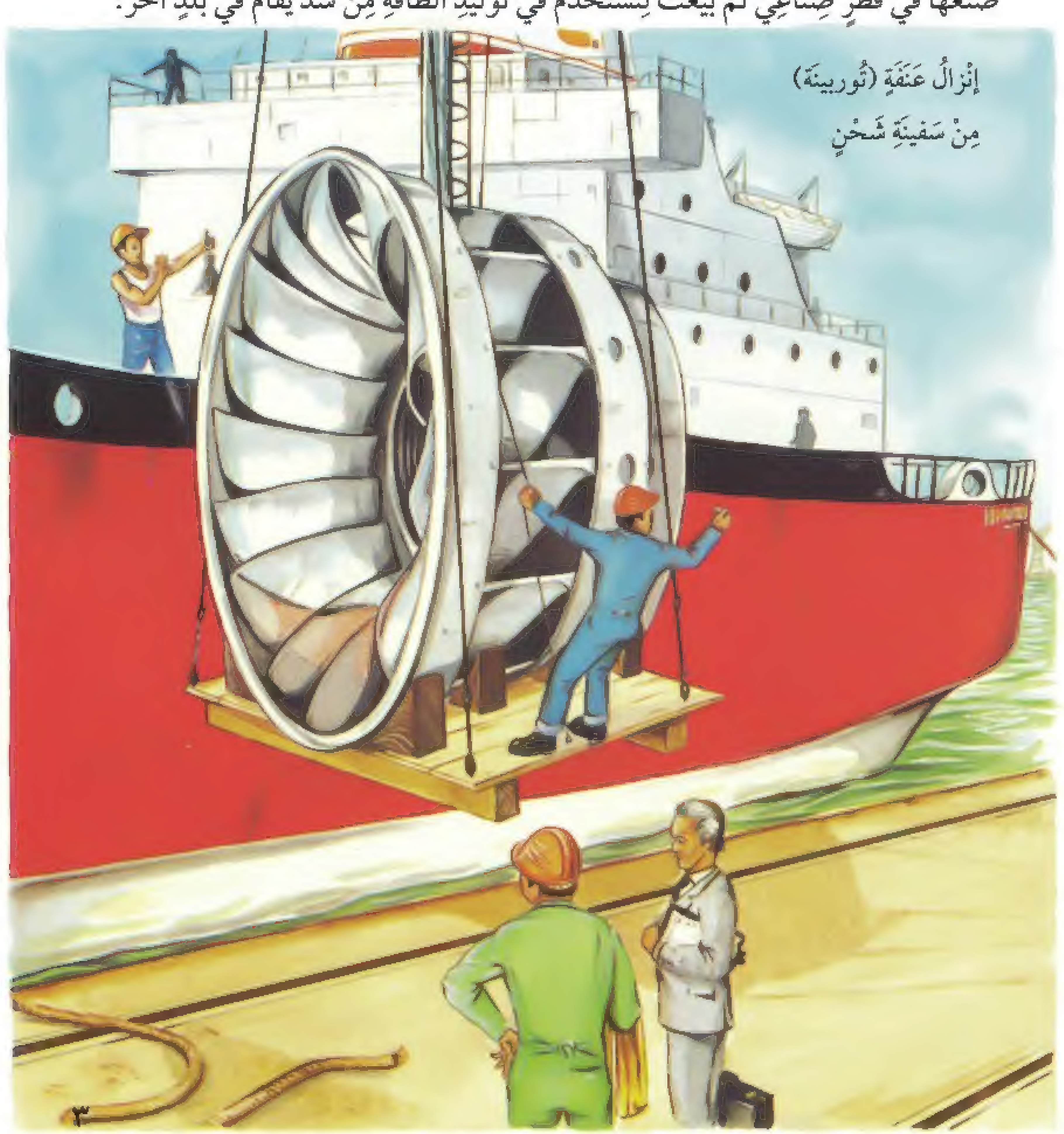


مُقايَضَةٌ بَسيطَةٌ

التِّجارَةُ هِيَ تَبادُلُ البَضائِعِ - بَيْعُها وَشِراؤُها.

وَقَدْ يَبْدو ذَلِكَ في ظاهِرِهِ مُتَبايِنًا، لَكِنَّكَ في الواقِعِ تُتاجِرُ في كُلِّ مَرَّةٍ تَشْتَري فيها شَيْئًا. إِنَّكَ تُبادِلُ شَيْئًا تَحْتاجُهُ (الغَرَضَ) بِشَيْءٍ ذي قيمَةٍ (النُّقودِ).

وَالتِّجارَةُ لا تَقْتَصِرُ عَلى مُقايَضَةٍ أَوْ بَيْعٍ وَشِراءِ الأَشْياءِ الّتي نَحْتاجُها في حَياتِنا اليَوْمِيَّةِ. فَالأَقْطارُ المُخْتَلِفَةُ تُتاجِرُ فيما بَيْنَها عَلى نِطاقٍ واسِعٍ في المَوادِّ الغِذائِيَّةِ وَالكيماوِيّاتِ وَالمَلابِسِ وَالمَكَناتِ (الماكيناتِ) وَغَيْرِها. هَذِهِ العَنَفَةُ (التُّوربينَةُ) الضَّخْمَةُ مَثَلًا قَدْ تَمَّ صُنْعُها في قُطْرٍ صِناعِيٍّ ثُمَّ بيعَتْ لِتُسْتَخْدَمَ في تَوْليدِ الطّاقَةِ مِنْ سَدٍّ يُقامُ في بَلَدٍ آخَرَ.



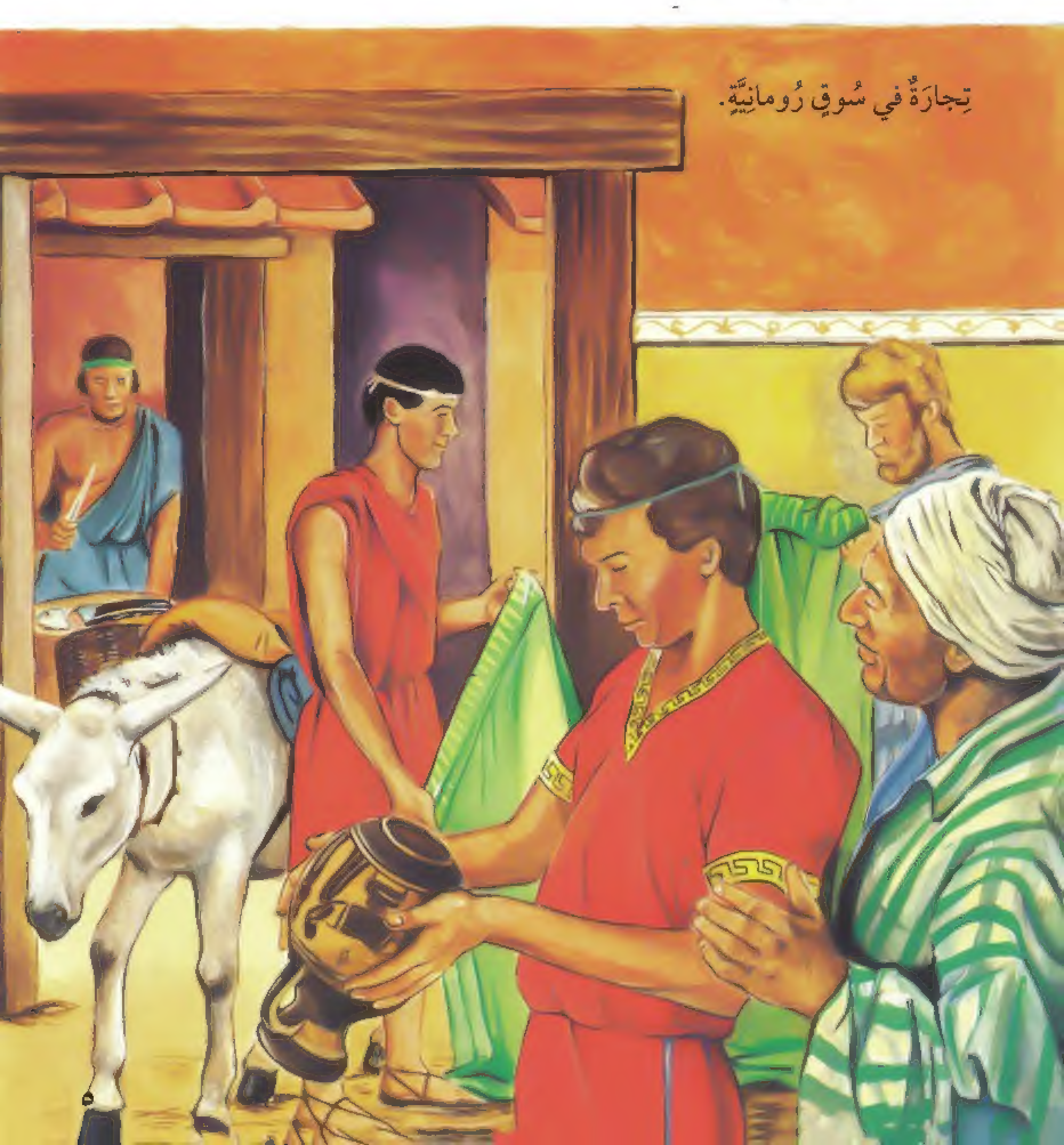
إِنْزالُ عَنَفَةٍ (تُوربينَة)
مِنْ سَفينَةِ شَحْنٍ

تِجارَةٌ بَدائِيَّةٌ
في عُصورٍ ما قَبْلَ التّاريخِ



مارَسَ النّاسُ المُقايَضَةَ مُنْذُ أَقْدَمِ العُصورِ. فَالّذي لَدَيْهِ فَوْقَ ما يَحْتاجُهُ مِنْ شَيْءٍ – طَعامٍ أَوْ جُلودِ حَيَواناتٍ مَثَلًا، كانَ يُقايِضُ بِهِ عَلى شَيْءٍ يَحْتاجُهُ وَلا يَتَوافَرُ لَدَيْهِ – أَداةٍ أَوْ حِلْيَةٍ أَوْ حَيَوانٍ مَثَلًا.

وَفي المَواقِعِ الّتي اعْتادَ النّاسُ التَّجَمُّعَ فيها لِلْمُقايَضَةِ نَشَأَتِ الأَسْواقُ وَنُصِبَتِ السَّقائِفُ وَالبُيوتُ. وَمِنْ هَذِهِ المَواقِعِ البَدائِيَّةِ نَمَتْ قُرًى وَمُدُنٌ، ذاتُ أَسْواقٍ وَتِجارَةٍ، لَعَلَّ قُرانا وَمُدُنَنا الحاضِرَةَ هِيَ بَعْضٌ مِنْها.



تِجارَةٌ في سُوقٍ رُومانِيَّةٍ.

أَيْنَ تَذْهَبُ مَعَ أَفْرادِ عائِلَتِكَ لِلتَّسَوُّقِ عادَةً؟

هَلْ تَقْصِدونَ سُوقًا في الطَّريقِ العامِّ؟

أَوْ تَقْصِدونَ دُكّانَ القَرْيَةِ أَوْ مَحلاًّ مُتَخَصِّصًا في الشَّيْءِ الّذي تَطْلُبونَ – مِنْ خُبْزٍ أَوْ لَحْمٍ أَوْ سَمَكٍ؟

هَلْ تَذْهَبونَ إلى مَتْجَرِ الأَقْسامِ المُتَنَوِّعَةِ الضَّخْمِ حَيْثُ تَجِدونَ في أَقْسامِهِ المُخْتَلِفَةِ كُلَّ ما تَحْتاجونَ إِلَيْهِ مِنَ الطَّعامِ وَالمَلابِسِ إلى الآلاتِ وَالأَثاثِ؟

أَوْ لَعَلَّكُمْ تَقْصِدونَ مَتْجَرًا مَرْكَزِيًّا تَدورونَ في أَرْجائِهِ بِعَرَبَةِ المُشْتَرَياتِ القَفَصِيَّةِ تَمْلأُونَها بِمَا يَلْزَمُكُمْ مِنْ مُحْتَوَياتِ رُفُوفِهِ.



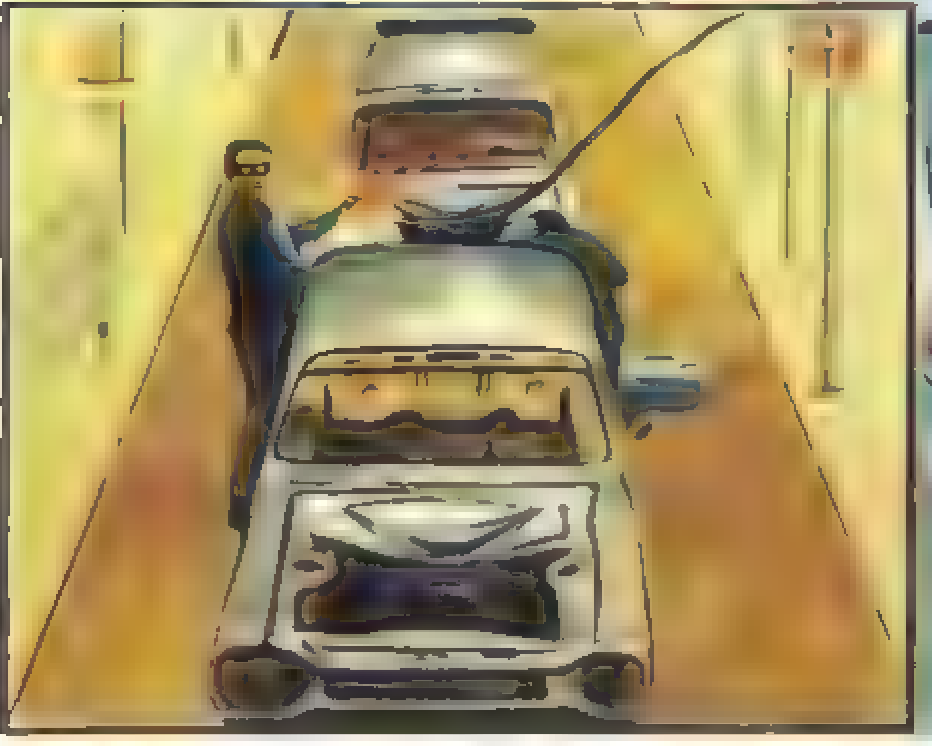
حَيْثُما تَسَوَّقْتَ فَأَنْتَ تَشْتَري مِنْ تُجّارٍ جَمَّعوا بِضاعَتَهُمْ مِنْ أَنْحاءِ العالَمِ.
أُنْظُرْ حَوْلَكَ في البَيْتِ وَحاوِلْ تَحْديدَ بَلَدِ المَصْدَرِ لِبَعْضِ ما تَأْكُلُهُ. هَلْ تَناوَلْتَ أَرُزًّا اليَوْمَ؟ لَعَلَّ مَصْدَرَهُ مِصْرُ أَوِ الهِنْدُ. هَلْ شَرِبْتَ قَهْوَةً أَوْ شايًا؟ رُبَّما جاءَتْ قَهْوَتُكَ مِنَ اليَمَنِ أَوِ البَرازيلِ؛ وَشايُكَ لَعَلَّهُ مِنْ سيلانَ (سِري لانْكا) أَوِ الصِّينِ.

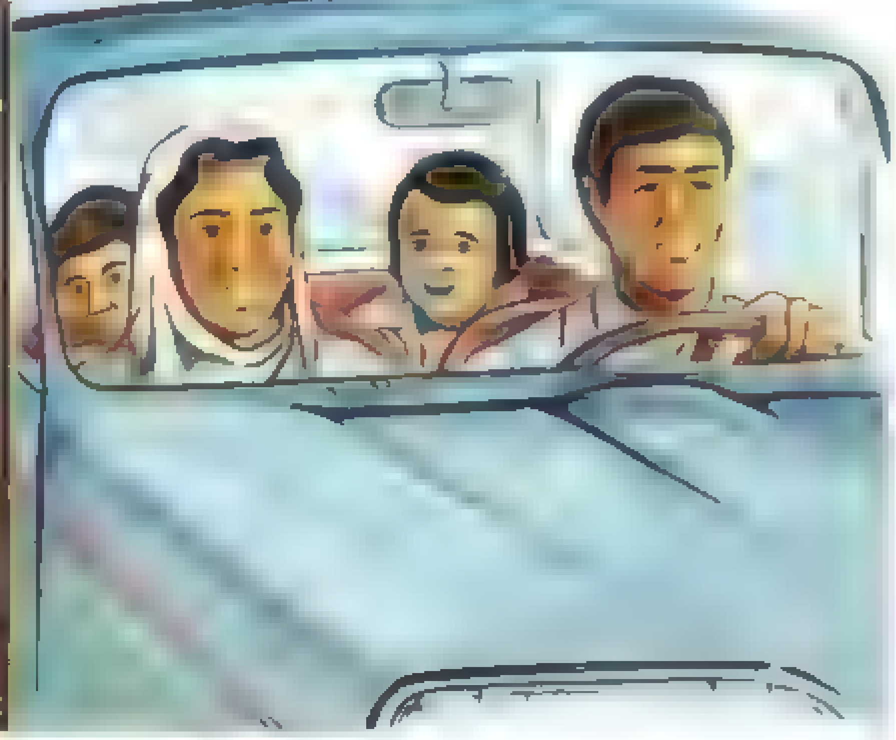




(فوْق) حَقْلُ قُطْنٍ

(إلى الأسْفَلِ يسارًا) مَصْنَعُ سَيّاراتٍ





هَلْ تَرْتَدي قَميصًا أَوْ ثَوْبًا قُطْنِيًّا؟ اِقْرَأْ ما تَقولُهُ بِطاقَةُ الياقَةِ، فَلَعَلَّها صُنِعَتْ في الهِنْدِ أَوْ هُونْج كُونْجَ أَوْ أَرْضِ النِّيلِ. هَلْ لَدَيْكُمْ سَيّارَةٌ؟ لَعَلَّها يابانِيَّةُ المَصْدَرِ أَوْ أَمْريكِيَّةٌ أَوْ أورُوبيَّةٌ.

إِنَّ الكَثيرَ مِنَ الأَشْياءِ الّتي نَسْتَخْدِمُها في حَياتِنا اليَوْمِيَّةِ يَأْتينا مِنَ الخارِجِ، وَيُؤَلِّفُ جُزْءًا، وَلَوْ ضَئيلًا، مِنَ «التِّجارَةِ العالَمِيَّةِ».

التِّجارَةُ العالَمِيَّةُ

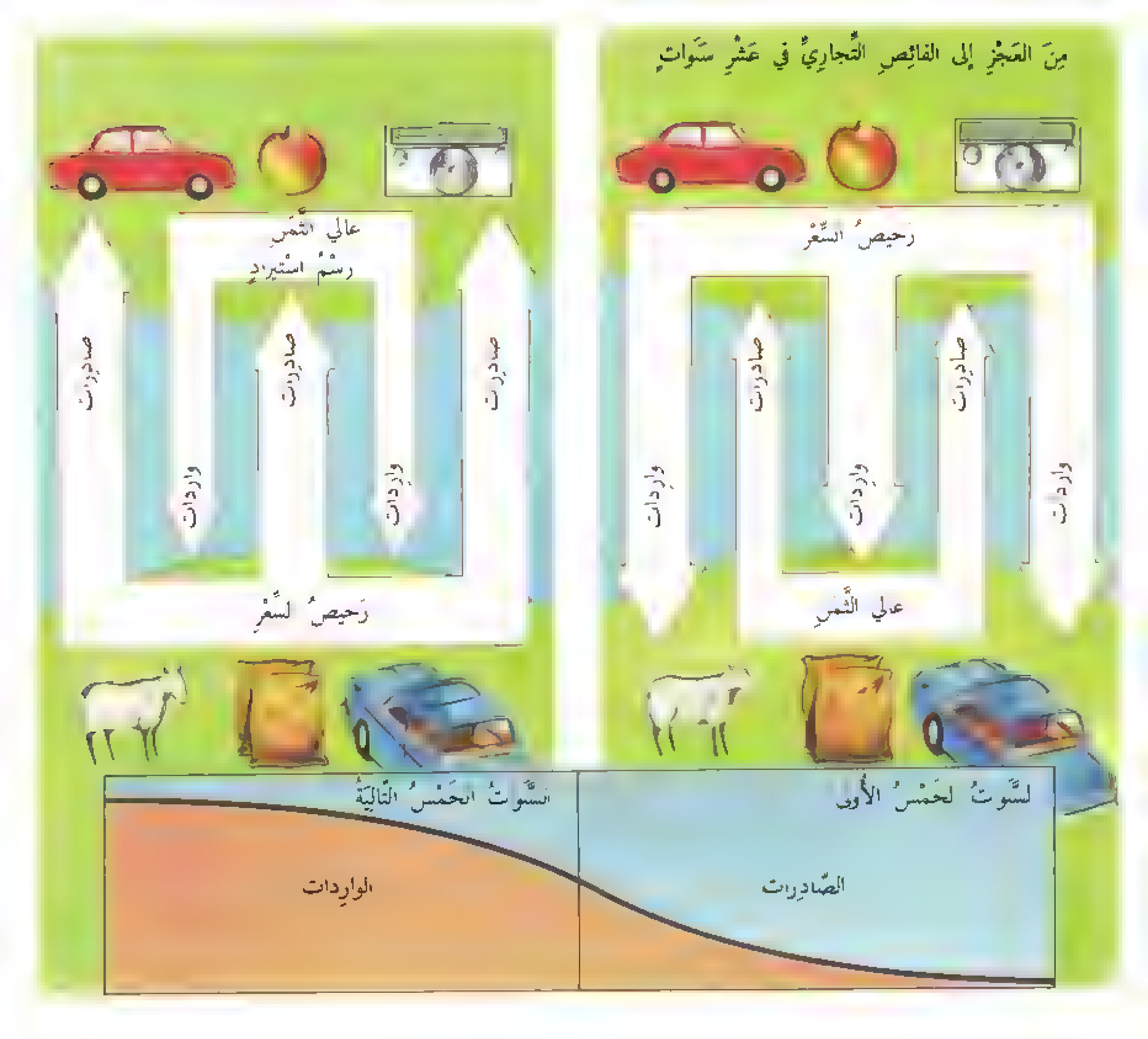
مَبْدَئِيًّا التِّجارَةُ العالَمِيَّةُ تُشْبِهُ المُقايَضَةَ بَيْنَ الأَصْدِقاءِ. إِذْ إِنَّ مُعْظَمَ البُلْدانِ لَدَيْها مِنْ بَعْضِ الأَشْياءِ فَوْقَ ما تَحْتاجُ إِلَيْهِ، فَتَبيعُهُ إِلى أَقْطارٍ أُخْرى - أَيْ «تُصَدِّرُهُ».

كَما إِنَّها تَفْتَقِرُ إِلى أَشْياءَ لا تَتوافَرُ لَدَيْها، فَتَشْتَريها مِنَ الأَقْطارِ الأُخْرَى - أَيْ تَسْتَوْرِدُها.



وَتَحْرِصُ الأَقْطارُ، كَما النّاسُ جَميعًا، عَلى أَلّا تُنْفِقَ فَوْقَ ما تَكْسِبُ. فَيُحاوِلُ كُلُّ بَلَدٍ مُوازَنَةَ حِساباتِهِ بِحَيْثُ لا يَسْتَوْرِدُ أَكْثَرَ مِمَّا يُصَدِّرُ.

فَالبَلَدُ الّذي يَبيعُ أَكْثَرَ مِمَّا يَشْتَري يَجْني رِبْحًا، وَيَتَجَمَّعُ لَدَيْهِ «فائِضٌ تِجارِيٌّ»، أَمّا إِذا زادَتْ مُشْتَرَياتُهُ عَلى مَبيعاتِهِ فَإِنَّهُ يَخْسَرُ. وَيَقَعُ في «عَجْزٍ تِجارِيٍّ».



الْبَلَدُ الّذي يُعاني عَجْزًا تِجارِيًّا يُمْكِنُهُ مُعالَجَةُ ذَلِكَ بِطَريقَتَيْنِ:

أَوَّلاً: يُحاوِلُ إِنْتاجَ السِّلَعِ بِتَكْلِفَةٍ أَقَلَّ، فَيُقْبِلُ السُّكّانُ المَحَلِّيّونَ عَلى شِرائِها بَدَلًا مِنَ البَضائِعِ الأَجْنَبِيَّةِ المُسْتَوْرَدَةِ، فَتَقِلُّ الوارِداتُ. كَذَلِكَ فَإِنَّ السِّعْرَ الأَرْخَصَ يُشَجِّعُ البُلْدانَ الأَجْنَبِيَّةَ عَلى شِراءِ تِلْكَ السِّلَعِ، فَتَزْدادُ الصّادِراتُ.

ثانِيًا، يُمْكِنُهُ فَرْضُ ضَرائِبَ خاصَّةٍ عَلى السِّلَعِ المُسْتَوْرَدَةِ تَرْفَعُ مِنْ سِعْرِها كَثيرًا، فَيُحْجِمُ النّاسُ بِالتّالي عَنْ شِرائِها. وَتُسَمّى هَذِهِ الضَّريبَةُ «رَسْمَ اسْتيرادٍ».

لَكِنَّ بَعْضَ البُلْدانِ الفَقيرَةِ لا تَسْتَطيعُ إِنْتاجَ الكَثيرِ مِنْ بَضائِعِ التَّصْديرِ، فَتَظَلُّ تُعاني عَجْزًا تِجاريًّا بِاسْتِمْرارٍ. وَلَعَلَّ أَنْجَحَ السُّبُلِ لِمُعالَجَةِ هَذا العَجْزِ في مِثْلِ هَذِهِ الأَقْطارِ هِيَ قِيامُ القُطْرِ بِإِقْناعِ الشَّرِكاتِ الأَجْنَبِيَّةِ بِالِاسْتِثْمار فيهِ عَنْ طَريقِ بِناءِ المَصانِعِ وَإِقامَةِ المَشاريعِ التِّجارِيَّةِ.



أَعْمالُ الإِنْشاءِ

بِاسْتِخْدامِ الِاسْتِثْماراتِ الأَجْنَبِيَّةِ

التِّجارَةُ في العُصورِ القَديمَةِ

أَوَّلُ أَسْيادِ التِّجارَةِ قَديمًا هُمُ السّومَرِيّونَ. وَقَدِ اسْتَوْطَنوا جَنوبَ العِراقِ (بِلادَ ما بَيْنَ النَّهْرَيْنِ) حَوالَي الأَلْفِ الخامِسِ قَبْلَ الميلادِ، وَجَعَلوا عاصِمَتَهُمْ أُورَ مَرْكَزًا تِجارِيًّا مُهِمًّا. وَكانوا يَشْتَرونَ المَرْمَرَ مِنْ إيرانَ وَاللّازَوَرْدَ مِنْ أَواسِطِ آسيا وَالحَجَرَ الأَخْضَرَ مِنَ الخَليجِ العَرَبِيِّ وَيَبيعونَها مَعَ مُنْتَجاتِهِمِ المَعْدِنِيَّةِ وَالفَخّارِيَّةِ البَديعَةِ إِلى التُّجّارِ الّذينَ يَؤُمّونَ عاصِمَتَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ وَصَوْبٍ. وَقَدْ تَرَكَ السّومَرِيّونَ سِجِلّاتٍ لِأَنْشِطَتِهِمِ التِّجارِيَّةِ عَلى أَلْواحٍ مِنَ الطِّينِ بِالخَطِّ المِسْمارِيِّ الّذي ابْتَدَعوهُ.



السّومَرِيّونَ - أَسْيادُ التِّجارَةِ قَديمًا، سِجِلّاتٌ بِالخَطِّ المِسْمارِيِّ وَحِسابٌ بِالنِّظامِ السِّتّينِيِّ.


قُطّاعُ طُرُقٍ يُغيرونَ على قافِلَةٍ مِنَ التُّجّارِ

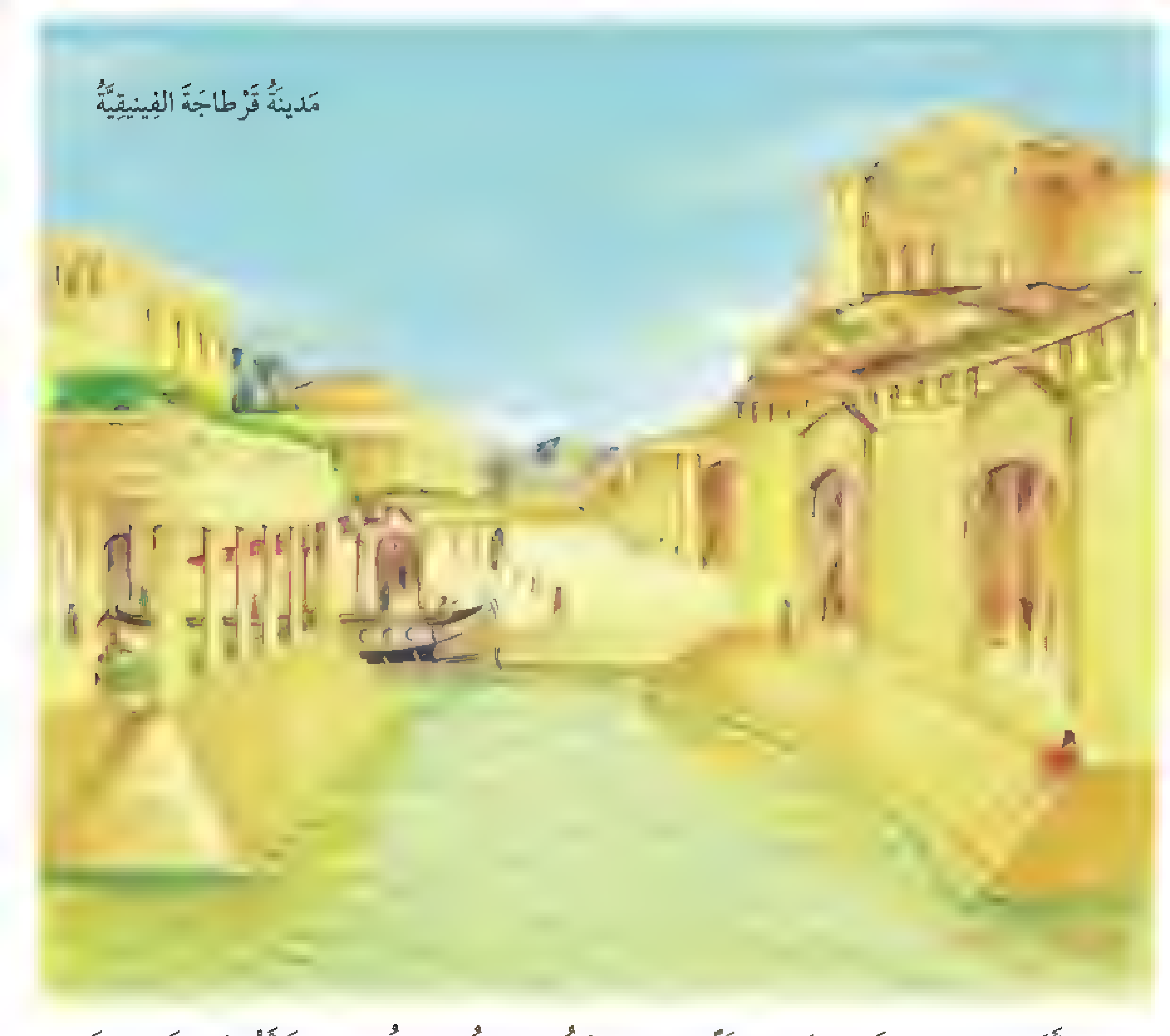
وَكانَ عَلى التُّجّارِ أَنْ يَعْبُروا مَسافاتٍ طَويلَةً خَطِرَةً في رِحْلاتِهِم الّتي كانَتْ تَسْتَغْرِقُ أَشْهُرًا وَأَحْيانًا سَنَواتٍ. وَكانَتْ هَجَماتُ قُطّاعِ الطُّرُقِ أَمْرًا مَأْلوفًا في المَمَرّاتِ الجَبَلِيَّةِ بِخاصَّةٍ. وَكانَتِ الطُّرُقُ مَسالِكَ غَيْرَ مَطْروقَةٍ ما أَيْسَرَ أَنْ يَضِلَّ فيها السّائِرونَ.

وَكانَ مِنَ الطَّبيعِيِّ وَالضَّروريِّ أَنْ يَنْضَمَّ التُّجّارُ القاصِدونَ وِجْهَةً مُعَيَّنَةً في قافِلَةٍ مُنَظَّمَةٍ يَتَبادَلونَ المُساعَداتِ وَالدِّفاعَ ضِدَّ المُغيرينَ. وَلَمْ تَكُنْ رِحْلَةُ القافِلَةِ بِالأَمْرِ اليَسيرِ أَبَدًا.

مَرْكَبٌ فينيقيٌّ
مُتَعَدِّدُ المَجاديفِ

بَعْدَ ذَلِكَ بِعِدَّةِ قُرونٍ (حَوالَي الأَلْفِ الثّاني قَبْلَ الميلادِ) أَصْبَحَ الفينيقِيّونَ، سُكّانُ الشّاطِئِ الشَّرْقِيِّ مِنَ البَحْرِ المُتَوَسِّطِ، سادَةَ التِّجارَةِ فيهِ دُونَ مُنافِسٍ. وَكانَتْ سُفُنُهُمْ تَجوبُ البِحارَ حامِلَةً خَشَبَ الأَرْزِ وَالأَواني الزُّجاجِيَّةَ وَالفَخّارِيَّةَ وَالأَدَواتِ المَعْدِنِيَّةَ وَالمَنْسوجاتِ إِلى مُخْتَلِفِ أَرْجاءِ العالَمِ، المَعْروفِ حِينَئِذٍ، وَتَعودُ بِالفِضَّةِ مِنْ إِسْبانيا وَالقَصْديرِ مِنَ الجُزُرِ البَريطانِيَّةِ. وَهُناكَ ما يُؤَيِّدُ أَسْفارَهُمْ حَوْلَ القارَّةِ الإِفْريقِيَّةِ.

طُرُقُ التِّجارَةِ الفينيقِيَّةِ



مَدينَةُ قَرْطاجَةَ الفِينيقِيَّةُ

أَسَّسَ الفِينيقِيّونَ مَراكِزَ تِجارِيَّةً وَمَرافِئَ لِسُفُنِهِمْ حَيْثُما رَحَلُوا - كانَ أَشْهَرُها قَرْطاجَةَ عَلى الشّاطِئِ الإِفْرِيقِيِّ. وَكانَ قَباطِنَةُ السُّفُنِ حَريصينَ عَلى إِبْقاءِ مَسالِكِ رِحْلاتِهِمْ ومَرافِئِ سُفُنِهِم سِرًّا، حَتّى إِنَّهُمْ كانوا يَتَعَرَّضونَ لِلْمَخاطِرِ في سَبيلِ تَضْليلِ مُتابِعيهِمْ.

وَظَلَّتْ قَرْطاجَةُ مِنْ مُدُنِ العالَمِ القَديمِ المُهِمَّةِ حَتّى دَمَّرَها الرُّومانُ عامَ ١٤٦ ق.م. وَكانَتْ في أَوْجِ سُلْطانِها قَدْ سَيْطَرَتْ عَلى سَرْدينِيَةَ وَمالْطَةَ وَجُزُرِ البِلْيارِ وَمُعْظَمِ غَرْبِ البَحْرِ المُتَوَسِّطِ.

اِخْتِراعُ النُّقودِ

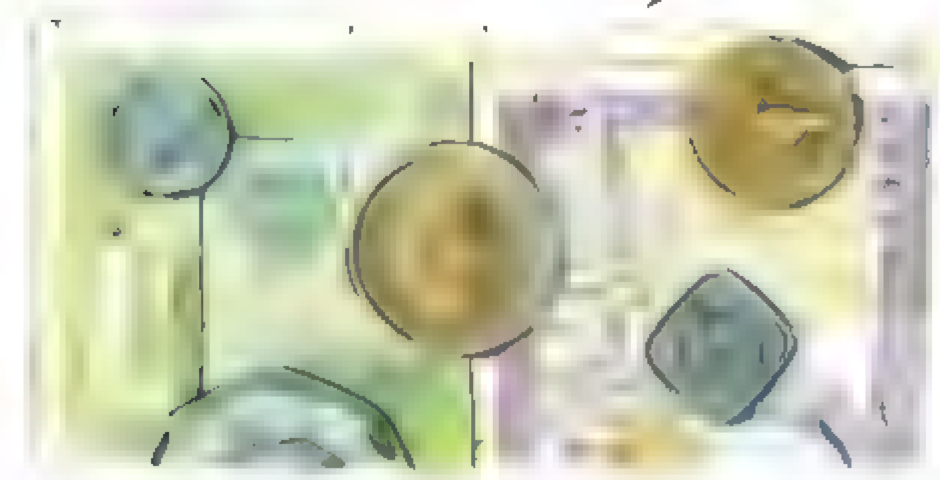
مَعَ اتِّساعِ نِطاقِ المُبادَلَةِ في المُجْتَمَعاتِ الّتي تَجاوَزَتْ مَرْحَلَةَ البَداوَةِ لَمْ تَعُدِ المُقايَضَةُ تَفي بِاحْتياجاتِ النّاسِ وَتِجارَتِهِمْ. فَفي البُلْدانِ الّتي حَكَمَتْها إمْبَراطورِيَّتا اليونانِ وَالرّومانِ كانَتِ المُبادَلاتُ التِّجارِيَّةُ تَجْري بِحُرِّيَّةٍ. وَفي تِلْكَ الفَتْرَةِ بَدَأَ النّاسُ يَسْتَخْدِمونَ النُّقودَ لِدَفْعِ أَثْمانِ مُشْتَرَياتِهِمْ.

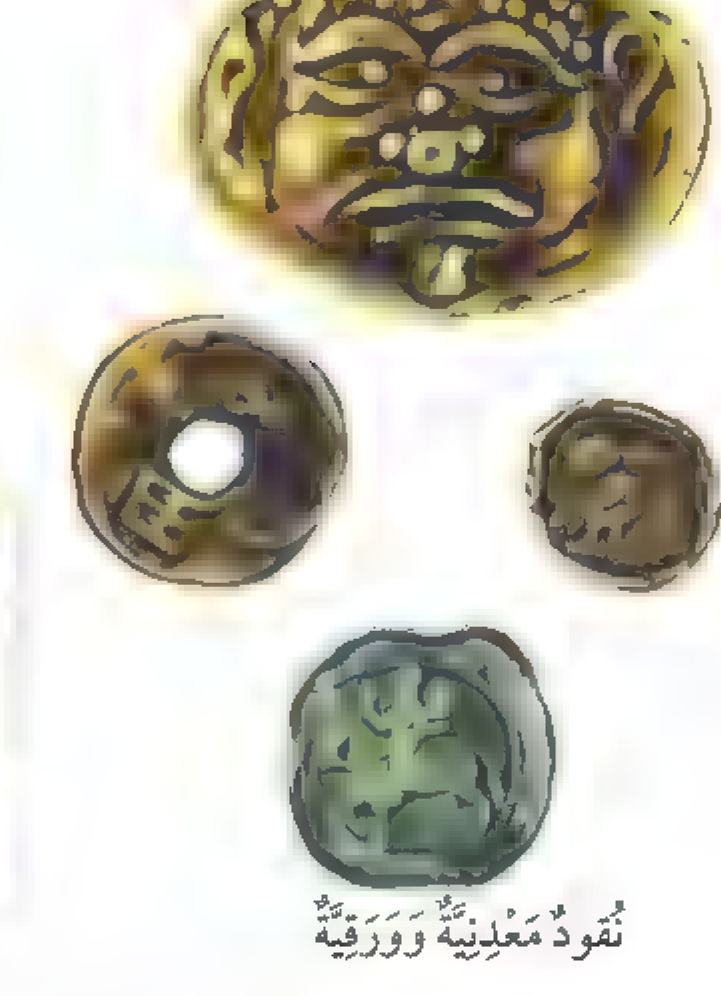
وَفي سِياقِ صُعوبَةِ التَّعامُلِ بِالمُقايَضَةِ يُرْوَى أَنَّ تاجِرًا مِصْرِيًّا، مُنْذُ ثَلاثَةِ آلافِ عامٍ، قَدَّمَ ٥٠٠ لَفَّةٍ مِنْ أَوْراقِ البَرْدِيِّ و٥٠٠ جِلْدِ ثَوْرٍ و٥٢٥ كيسًا مِنَ العَدَسِ و٥٠ وَزْنَةً مِنَ السَّمَكِ وَكَمِّيّاتٍ مِنَ الكَتّانِ وَالقُماشِ وَالحُلِيِّ في مُقابِلِ أَلْواحٍ مِنَ الخَشَبِ لِبِناءِ مَعْبَدِ الكَرْنَكِ. فَهَلْ تَتَصَوَّرُ إمْكانِيَّةَ أَنْ تَتَسَوَّقَ عائِلَةٌ اليَوْمَ بِمِثْلِ هذا الأُسْلوبِ؟



تِجارَةُ المُقايَضَةِ عَسيرَةٌ وَغَيْرُ عَمَلِيَّةٍ اليَوْمَ

ظَهَرَتِ النُّقودُ كَوَسيلَةٍ تُقَيِّمُ بِها الأَشْياءُ وَتَحْظَى بِقَبولٍ عامٍّ بِحَيْثُ تُسْتَخْدَمُ واسِطَةً لِلتَّبادُلِ سَهْلَةَ الحَمْلِ وَالمُتَناوَلِ. وَكانَتِ النُّقودُ في بِدايَةِ عَهْدِها قِطَعًا مِنْ مَعْدِنٍ ثَمينٍ تُعادِلُ قيمَتُها التِّجارِيَّةُ قيمَتَها النَّقْدِيَّةَ.





نُقودٌ مَعْدِنِيَّةٌ وَوَرَقِيَّةٌ

أَمّا النُّقودُ وَالعُمْلَةُ الوَرَقِيَّةُ الّتي نَسْتَخْدِمُها اليَوْمَ فَإِنَّها ذاتُ قيمَةٍ رَمْزِيَّةٍ (تِجارِيَّةٍ) لا عَلاقَةَ لَها بِالقيمَةِ النَّقْدِيَّةِ لِلْمَعْدِنِ أَوِ الوَرَقِ الّذي صُنِعَتْ مِنْهُ.



أَنْواعٌ مُخْتَلِفَةٌ مِنَ العُمْلَةِ

فَالعُمْلَةُ هِيَ كُلُّ ما اتُّفِقَ عَلى قَبولِهِ لِلدَّفْعِ مَهْمَا كانَ نَوْعُهُ. وَالنُّقودُ المَعْدِنِيَّةُ لَمْ تَكُنْ دائِمًا عُمْلَةَ جَميعِ البِلادِ وَالشُّعوبِ، فَقَدِ اسْتَخْدَمَ الأَحْباشُ كُتَلًا مِنَ المِلْحِ لِدَفْعِ أَثْمانِ بَضائِعِهِمْ كَما اسْتَعْمَلَ شُعوبُ غَرْبِ إِفْرِيقِيَةَ نُصولَ الفُؤوسِ الحَجَرِيَّةِ، في حينَ اسْتَخْدَمَ أَقْوامٌ آخَرونَ القُضْبانَ المَعْدِنِيَّةَ أَوِ المَحارَ أَوِ الخَرَزَ أَوِ الرّيشَ لِذلِكَ.



السِّيادَةُ التِّجارِيَّةُ تَنْتَقِلُ إلى العَرَبِ

بِحُلولِ القَرْنِ الميلادِيِّ العاشِرِ كانَتِ الدَّعْوَةُ الإسْلامِيَّةُ قَدِ انْتَشَرَتْ عَبْرَ آسيا وَشَمالِ إفريقيا وإسبانيا، وَأَصْبَحَ العَرَبُ سادَةَ التِّجارَةِ العالَمِيَّةِ في ذَلِكَ العَصْرِ. لَقَدْ كانوا مِنْ مَوْقِعِهِم المَرْكَزِيِّ مِحْوَرَ التِّجارَةِ العابِرَةِ البَحْرَ المُتَوَسِّطَ - مِنْ وَإلى أُورُوبّا بِاتِّجاهِ المَغْرِبِ العَرَبِيِّ- وَالقادِمَةِ بَرًّا مِنْ أَرْجاءِ القارَّةِ الآسْيَوِيَّةِ إلى المَشْرِقِ العَرَبِيِّ. وَكانَتْ أُورُوبّا حِينَئِذٍ مِنْطَقَةً مُتَخَلِّفَةً يَسودُها الجَهْلُ وَالبُؤْسُ وَالدَّمارُ.

كانَ الحُجّاجُ المُسْلِمونَ يَؤُمّونَ مَكَّةَ المُكَرَّمَةَ مِنْ إسبانيا وَشَمالِ إفْريقيا كَما مِنَ العِراقِ وَإيرانَ وَالهِنْدِ، وَالكَثيرونَ مِنْهُمْ يَجيئونَ في قَوافِلَ مُحَمَّلَةٍ بِمُخْتَلِفِ البَضائِعِ لِلتِّجارَةِ. وَكانَتْ قَوافِلُ التِّجارَةِ العَرَبِيَّةِ تَعْبُرُ المَسالِكَ البَرِّيَّةَ إلى الصِّينِ مُرورًا بِسيبيريا وَسَمَرْقَنْدَ. أَمّا بَحْرًا فَقَدْ رادَتِ الأَساطيلُ العَرَبِيَّةُ الطُّرُقَ البَحْرِيَّةَ إلى الهِنْدِ وَالصِّينِ مُرورًا بِمَدْغَشْقَر وَسِيلانَ (سِري لانْكا).

وَكانَ العَرَبُ في تِجارَتِهِمْ مَعَ العالَمِ الآسْيَوِيِّ يَتَعامَلونَ بِالحَريرِ وَالأَخْشابِ الثَّمينَةِ وَالبَهاراتِ (كَالفُلْفُلِ وَالجَنْزَبيلِ والقَرَنْفُلِ وَالقِرْفَةِ) وَعُطورِ خَشَبِ الصَّنْدَلِ وَالمِسْكِ وَالبَخورِ وَالأَرُزِّ وَالحُبوبِ وَقَصَبِ السُّكَّرِ.

أَمّا عَبْرَ المُتَوَسِّطِ فَكانَ التُّجّارُ العَرَبُ يُزَوِّدونَ الأَقْطارَ الأورُوبِيَّةَ بِالبَهاراتِ وَالمَنْسوجاتِ الفاخِرَةِ الّتي كانَ سُراةُ الأوروبِّيِّينَ يَدْفَعونَ لِقاءَها غالِيًا. وَكانَ البَحّارَةُ العَرَبُ يُرَوِّجونَ الأَساطيرَ عَنْ هُولاتِ البَحْرِ وَمَخاطِرِهِ في رِحْلاتِهِمْ شَرْقًا حَتّى يُثَبِّطوا هِمَمَ مَنْ يُحاوِلونَ تَتَبُّعَهُمْ ومُنافَسَتَهُمْ.


تُجّارٌ عَرَبٌ في الصِّينِ



رِحْلاتُ الاسْتِكْشافِ الكُبْرى

بِتَزايُدِ التِّجارَةِ حَوْلَ البَحْرِ الأَبْيَضِ المُتَوَسِّطِ تَحَمَّسَ الكَثيرُ مِنَ الأَقْطارِ لِاكْتِشافِ طُرُقٍ لِتِجارَتِهِمْ إلى الشَّرْقِ. وَتَضاعَفَتْ أَهَمِّيَّةُ هَذا الاِكْتِشافِ حينَ اسْتَوْلَى العُثْمانِيّونَ (الأَتْراكُ) عَلى القُسْطَنْطينِيَّةِ عامَ ١٤٥٣ وَأَغْلَقوا العالَمَ الإسْلامِيَّ في وَجْهِ الأُورُوبِّيِّينَ.

وَفي مُحاوَلَتِهِم اكْتِشافَ الطُّرُقِ التِّجارِيَّةِ تِلْكَ اكْتَشَفَ الأُورُوبِّيُّونَ أَراضِيَ وَبِلادًا جَدِيدَةً.

«سانْتا ماريّا»
سَفينةُ كولُمبُس

أَبْحَرَ كولُمبُس غَرْبًا لِيَكْتَشِفَ طَريقًا مُخْتَصَرَةً إلى الهِنْدِ فكانَ أَنِ اكْتَشَفَ جُزُرَ البَحْرِ الكاريبيّ.

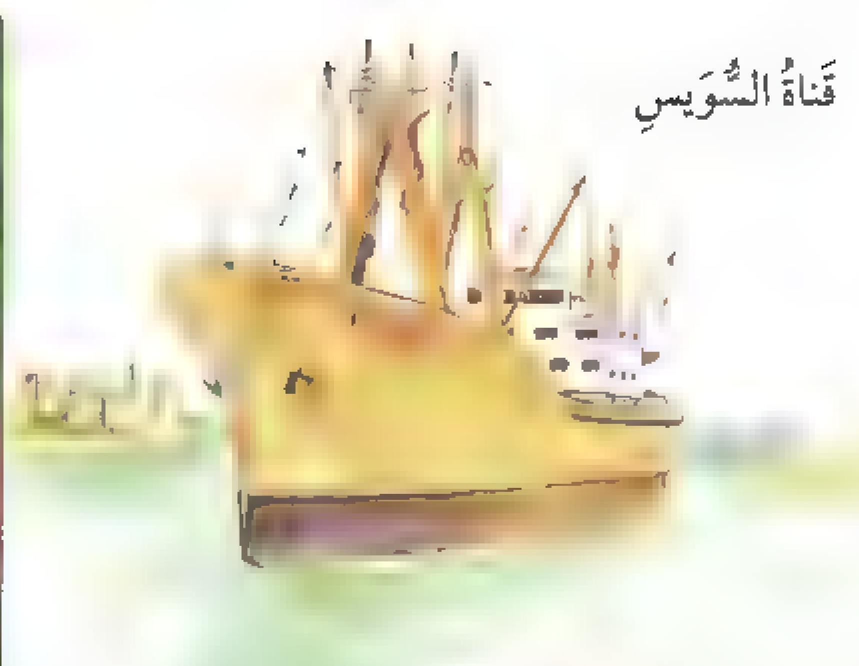
وَدارَ فاسْكو داجاما حَوْلَ رَأْسِ الرَّجاء الصّالِحِ وَحَقَّقَ وُصولًا إلى الهِنْدِ. وَكانَ فِرْديناند مَجِلّان أَوَّلَ مَنْ أَبْحَرَ في دَوْرَةٍ كامِلَةٍ حَوْلَ العالَم.

وَفي وَقْتٍ لاحِقٍ أَبْحَرَ مُكْتَشِفونَ أوروبِّيّونَ آخَرونَ إلى أَمْريكا الشَّماليَّةِ وَأُسْتراليا وَنيوزيلَنْدا.

في بِدايَةِ الأَمْرِ كانَ هَمُّ التُّجّارِ الأوروبِّيّينَ وحُكوماتِهِمْ مُقْتَصِرًا على الطُّرُقِ كَسَبيلٍ إلى الثَّرواتِ الطّائِلَةِ مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ وَحُمولاتٍ قَيِّمَةٍ أَمِلوا في الحُصولِ عَلَيْها. لَكِنَّ أَفْواجَ المُسْتَوْطِنينَ ما لَبِثَتْ أَنْ تَوافَدَتْ عَلى هَذِهِ الأَقاليمِ الجَديدَةِ، فَشَيَّدوا فيها المُدُنَ وَالمَرافِئَ وَأَنْشَأُوا رَوابِطَ تِجارِيَّةً وَثيقَةً مَعَ أَوْطانِهِمِ الأَصْلِيَّةِ.



قَناةُ السُّوَيسِ

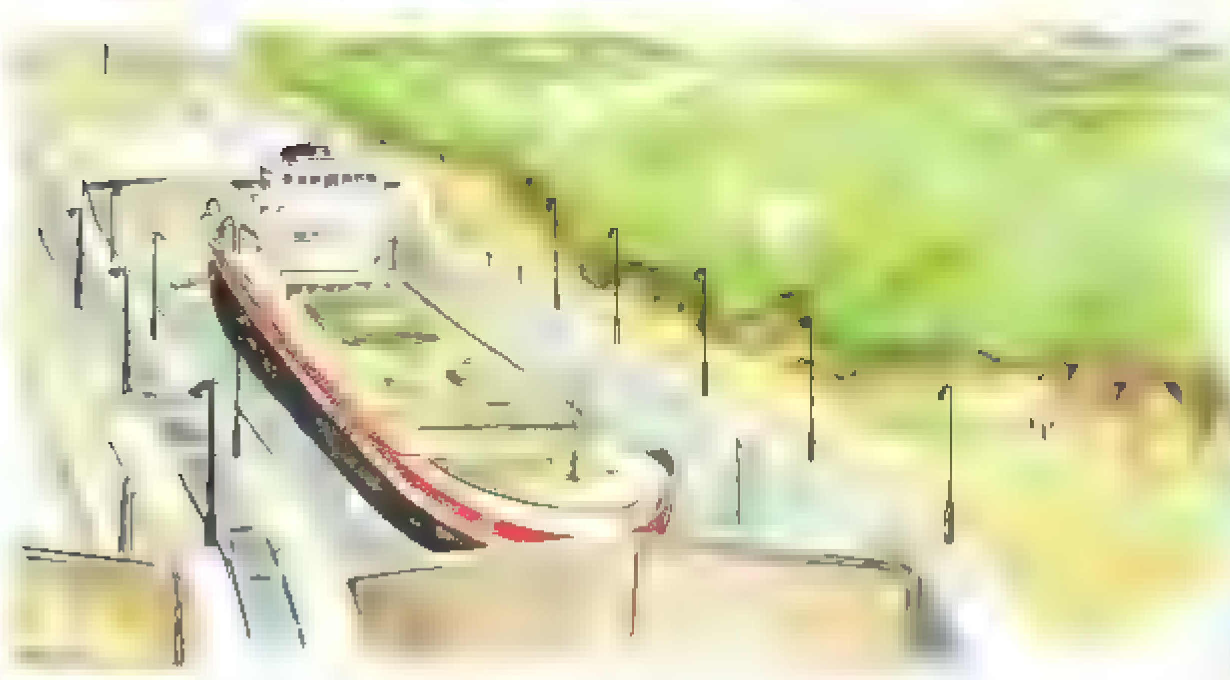




مَسالِكُ مُخْتَصَرَةٌ لِطُرُقٍ أَفْضَلَ

وَاسْتَمَرَّ البَحْثُ حَثيثًا عَنْ طُرُقٍ أَفْضَلَ وَأَسْرَعَ لِتَعْزيزِ التِّجارَةِ. فَفي العامِ ١٨٦٩ افْتُتِحَتْ قَناةُ السُّوَيسِ (وَطولُها ١٧٣ كيلومترًا) لِتَرْبِطَ البَحْرَ المُتَوَسِّطَ بِالبَحْرِ الأَحْمَرِ. فَصارَ بِإِمْكانِ السُّفُنِ الإِبْحارُ مِنْ أُوروبّا إلى الهِنْدِ وَالشَّرْقِ الأَقْصى ذَهابًا وَإِيابًا دُونَ الدَّوَرانِ حَوْلَ إفْريقِيا.

قَناةُ بَنَما





وَفي العامِ ١٩١٤ تَمَّ حَفْرُ قَناةِ بَنَما، عَبْرَ مَضيقٍ مُسْتَنْقَعِيٍّ، لِتَصِلَ البَحْرَ الكارِيبِيَّ (وَالمُحيطَ الأَطْلَسِيَّ) بِالمُحيطِ الهادي دُونَ الدَّوَرانِ حَوْلَ أَمْريكا الجَنوبِيَّةِ وَيَبْلُغُ طُولُ هَذِهِ القَناةِ ٨٢ كِيلُومِترًا.



تِجارَةٌ ناجِحَةٌ: ثَراءٌ واسِعٌ

وَتَأَلَّفَتْ شَرِكاتٌ تِجارِيَّةٌ كَبيرَةٌ في القَرْنِ التّاسِعَ عَشَرَ لِلْمُتاجَرَةِ في آسْيا وَإِفْرِيقيا. فَأَسَّسَتْ لَها مَراكِزَ تِجارِيَّةً فيهِما لِتَرْويجِ البَضائِعِ المُصَنَّعَةِ آلِيًّا بِتَكاليفَ رَخيصَةٍ، وَمِنْ ثَمَّ شِراءِ المَوادِّ الخامِ الّتي تَحْتاجُها مَصانِعُ بِلادِها.

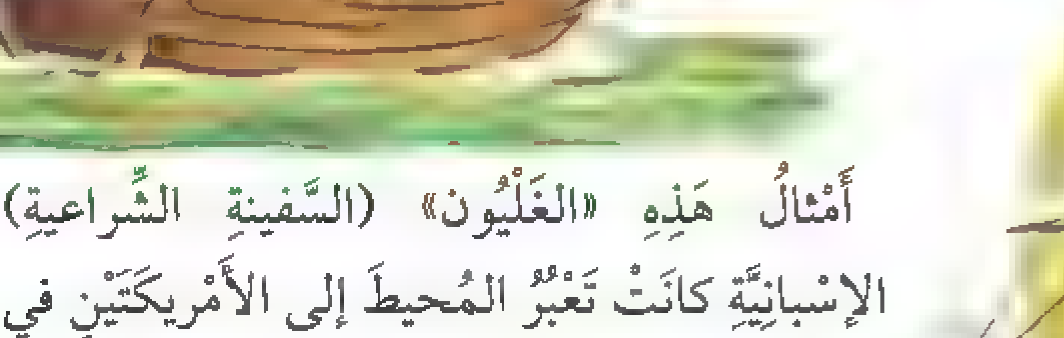
وَكَما هِيَ الحالُ عَبْرَ التّاريخِ فَإِنَّ التِّجارَةَ النّاجِحَةَ تَعودُ بِأَرْباحٍ طائِلَةٍ، وَتَجْعَلُ فِئَةً مِنَ النّاسِ تَنْعَمُ في ثَراءٍ واسِعٍ.

السُّفُنُ المُتَطَوِّرَةُ تُعزِّزُ التِّجارَةَ

مَعَ تَزايُدِ المَناطِقِ المُكْتَشَفَةِ عَبْرَ البِحارِ وَفَتْحِ أَبْوابِها أَمامَ التِّجارَةِ وَالتُّجّارِ أَصْبَحَتِ السُّفُنُ المُتَطَوِّرَةُ السَّريعَةُ ضَرورِيَّةً لِنَقْلِ البَضائِعِ مِنْ قُطْرٍ إلى آخَرَ بِالسُّرْعَةِ القُصْوى، وَقَدِ احْتَدَمَتِ المُنافَسَةُ التِّجارِيَّةُ بَيْنَ الأَقْطارِ الأُوروبِّيَّةِ بِخاصَّةٍ، فَالْبَلَدُ الَّذي يَسْتَطيعُ إيصالَ البَضائِعِ بِسُرْعَةٍ أَكْثَرَ إلى مُخْتَلِفِ أَنْحاءِ العالَمِ يَحْظَى بِأَوْلَوِيَّةِ المَبيعاتِ وَبِالسِّعْرِ الأَفْضَلِ.

في ما يَلي عَرْضٌ لِلتَّطَوُّراتِ الَّتي طَرَأَتْ عَلى السُّفُنِ مُنْذُ عُهودِ التِّجارَةِ الأُولى:

لَعَلَّ هَذِهِ السَّفينَةَ الرُّومانِيَّةَ أَسْهَمَتْ يَوْمًا في تِجارَةِ الحُبوبِ المُصَدَّرَةِ مِنْ مِصْرَ.



سَفينَةٌ تِجارِيَّةٌ رُومانِيَّةٌ

أَمْثالُ هَذِهِ «الغَلْيُون» (السَّفينَةِ الشِّراعِيَّةِ) الإسْبانِيَّةِ كانَتْ تَعْبُرُ المُحيطَ إلى الأَمْريكَتَيْنِ في العالَمِ الجَديدِ.



غَلْيونٌ (سَفينَةٌ شِراعِيَّةٌ) إسبانِيَّةٌ ذاتُ أَشْرِعَةٍ وَمَجاديفَ



قارِبٌ عَرَبِيٌّ

اِسْتَخْدَمَ العَرَبُ هَذِهِ القَوارِبَ لِعُبورِ المُحيطِ الهِنْدِيِّ. وَهِيَ، بِخِلافِ السُّفُنِ الشِّراعِيَّةِ المَعروفَةِ حينَئِذٍ، تَسْتَطيعُ الإبْحارَ بِعَكْسِ اتِّجاهِ الرِّيحِ.



الكليبر المُتَعَدِّدَةُ الأَشْرِعَةِ

وَفي القَرْنِ التّاسِعَ عَشَرَ اسْتُخْدِمَتْ سُفُنُ الْكليبَر السَّريعَةُ المُتَعَدِّدَةُ الأَشْرِعَةِ في جَلْبِ الشّايِ مِنَ الصّينِ وَالهِنْدِ إلى لَنْدَنَ.

هَذِهِ سَفينَةُ حاوِياتٍ حَديثَةٌ. إنَّ تَكْديسَ البَضائِعِ داخِلَ الحاوِياتِ الصُّنْدوقِيَّةِ يُمَكِّنُها مِنْ نَقْلِ حُمولَةٍ تَبْلُغُ سِتَّةَ أَضْعافِ حُمولَةِ سَفينَةِ شَحْنٍ مَثيلَةٍ قَديمَةٍ. وَتَسْتَطيعُ سُفُنُ الحاوِياتِ المُبَرَّدَةُ نَقْلَ الأَطْعِمَةِ الطّازَجَةِ كَاللَّحْمِ وَمُنْتَجاتِ الأَلْبانِ إلى مُخْتَلِفِ أَقْطارِ العالَمِ.



سَفينَةُ حاوِياتٍ

وَلَعَلَّ أَضْخَمَ سُفُنِ النَّقْلِ اليَوْمَ هِيَ ناقِلاتُ الزَّيْتِ الصِّهْريجِيَّةُ الَّتي تَرى أَدْناهُ إحْدى أَضْخَمِ ما بُنِيَ مِنْها. إنّها تَنْقُلُ الزَّيْتَ (النِّفْطَ) مِنْ مِنْطَقَةِ الشَّرْقِ الأَوْسَطِ إلى مُخْتَلِفِ الأَماكِنِ في العالَمِ.

لاحِظْ ضَخامَةَ هَذِهِ النّاقِلَةِ بِالمُقارَنَةِ مَعَ سَفينَةِ كُولُمبُسَ «سانتا مارِيّا» الَّتي تَبْدو (بِمِقْياسِ الرَّسْمِ نَفْسِهِ) إلى جانِبِها.

ناقِلَةُ نِفْطٍ عِمْلاقَةٌ – لاحِظْ ضَخامَتَها بِالمُقارَنَةِ مَعَ سَفينَةِ كُولُمبُسَ «سانتا مارِيّا»

التِّجارَةُ المُعاصِرَةُ

التِّجارَةُ اليَوْمَ عالَمِيَّةُ النِّطاقِ بالِغَةُ السُّرْعَةِ بَرًّا وَبَحْرًا وَجَوًّا. فَالشّاحِناتُ الضَّخْمَةُ تَسيرُ عَلى الطُّرُقِ العامَّةِ ناقِلَةً البَضائِعَ مِنَ المَوانِئِ إلى المُدُنِ المُخْتَلِفَةِ. وَأَرْتالُ القِطاراتِ الطَّويلَةُ تَنْسابُ مُسْرِعَةً تَجْتازُ المَسافاتِ عَبْرَ أَقاليمَ وَمَسالِكَ كانَتْ قَوافِلُ التُّجّارِ تَسْتَغْرِقُ في بُلوغِها أَوْ قَطْعِها شُهورًا أَوْ حَتّى سَنَواتٍ. وَتَشُقُّ السُّفُنُ سُبُلَها مِنْ مُخْتَلِفِ أَرْجاءِ المَعْمورِ إلى المَوانِئِ حَيْثُ تُحَمِّلُها الرَّوافِعُ الضَّخْمَةُ بِالبَضائِعِ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ أَوْ تُفْرِغُها مِنْها. وَفي المَطاراتِ تَحُطُّ الطّائِراتُ العِمْلاقَةُ أَوْ تُقْلِعُ لِتُفْرِغَ أَوْ تُحَمِّلَ شِحْناتِها مِنَ السَّيّاراتِ أَوِ الفَواكِهِ الطّازَجَةِ تَعْبُرُ بِها أَجْواءَ العالَمِ في ساعاتٍ.



التِّجارَةُ جَوًّا



في الماضي كانَ التّاجِرُ يُواجِهُ مَخاطِرَ الإفْلاسِ وَالبَوارِ إذا سُرِقَتْ بِضاعَتُهُ أَوْ غَرِقَتْ أَوْ تَلِفَتْ في أَثْناءِ النَّقْلِ. أَمّا اليَوْمَ فَإِنَّ التُّجّارَ وَالشَّرِكاتِ التِّجارِيَّةَ يُؤَمِّنونَ على بَضائِعِهِمْ مُقابِلَ رَسْمٍ مُحَدَّدٍ يَدْفَعونَهُ إلى مُؤَسَّساتٍ أَوْ شَرِكاتِ التَّأْمينِ. وَتَقومُ شَرِكاتُ التَّأْمينِ في حالِ وُقوعِ الضَّرَرِ بِتَعْويضِ الخَسارَةِ جُزْئِيًّا أَوْ كُلِّيًّا حَسْبَما يَنُصُّ عَقْدُ التَّأْمينِ.



سُوقٌ تَقْليدِيَّةٌ في الطَّريقِ العامِّ

كانَتِ التِّجارَةُ عَبرَ التّاريخِ، وَما زالَتْ، بالِغَةَ الأَهَمِّيَّةِ. فَبِفَضْلِها اكْتَسَبَتْ شُعوبٌ وَأَقْطارٌ عَظَمَةً وَقُوَّةً، وَفي سَبيلِها اكْتُشِفَتْ أَقاليمُ وَبِلادٌ جديدَةٌ، وَبِسَبَبِها كَذلِكَ قامَتْ مُنازَعاتٌ وَحُروبٌ عَديدَةٌ.

وَمَعَ تَقَدُّمِ وَسائِلِ الاِتِّصالِ أَخَذَتِ التِّجارَةُ اليَوْمَ أَبْعادًا دَوْلِيَّةً. لَكِنْ يَظَلُّ يَطيبُ لِلنّاسِ في بَعْضِ الأَماكِنِ النُّزولُ إلى سُوقٍ شَعْبِيَّةٍ في الطَّريقِ يَعْرِضونَ بِضاعَتَهُمْ وَيُساوِمونَ كَما فَعَلَ أَسْلافُهُمْ مُنْذُ آلافِ السِّنينَ.

تَعريفات

إِسْتِثْمار: إِسْتِغْلالُ المالِ في مَشْروعٍ تِجارِيٍّ بِهَدَفِ الحُصولِ عَلى رَبْحٍ أَوِ المُشارَكَةِ في أَرْباحِ المَشْروعِ. وَأَحْيانًا تَقومُ المُؤَسَّساتُ بِدَعْوَةِ الجُمْهورِ إِلى اسْتِثْمارِ أَمْوالِهِم فيها بُغْيَةَ التَّوَسُّعِ أَوْ تَطْويرِ الإِنْتاجِ أَوْ شِراءِ آلاتٍ وَمُعَدّاتٍ جَديدَةٍ.

بورْصَة: سوقٌ أَوْ مَبْنًى يَجْتَمِعُ فيهِ التُّجّارُ أَوِ المُتَعامِلونَ لِلتَّداوُلِ في سِلْعَةٍ مُعَيَّنَةٍ، شِراءً أَوْ بَيْعًا، كَما في بورْصَةِ القُطْنِ أَوِ القَمْحِ أَوْ كَما في سوقِ الأَوْراقِ المالِيَّةِ وَالسَّنَداتِ.

التَّعْويض: ما يُقَدَّمُ مِنْ مالٍ أَوْ سِواهُ تَعْويضًا عَنْ شَيْءٍ فُقِدَ أَوْ ضَرَرٍ حَلَّ. فَالتّاجِرُ الَّذي غَرِقَتْ بِضاعَتُهُ المُؤَمَّنَةُ، أَوِ الشَّخْصُ الَّذي سُرِقَ مَنْزِلُهُ المُؤَمَّنُ، يَتَلَقّى مِنْ شَرِكَةِ التَّأْمينِ تَعْويضًا عَنْ بِضاعَتِهِ أَوْ مُمْتَلَكاتِهِ المَسْروقَةِ، حَسْبَما هُوَ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ مَعَ شَرِكَةِ التَّأْمينِ.

حِسابات: حِساباتُ القُطْرِ أَوِ الشَّرِكَةِ أَوِ الشَّخْصِ هِيَ السِّجِلُّ الكامِلُ بِالنَّفَقاتِ وَالإِيراداتِ في مَدى فَتْرَةٍ مُحَدَّدَةٍ. وَلا بُدَّ لِلْقُطْرِ أَوِ الشَّرِكَةِ أَوِ التّاجِرِ مِنْ مُوازَنَةِ حِساباتِهِمْ حَتّى لا يَقَعُوا في عَجْزٍ مالِيٍّ.

الرِّبْح: هُوَ الدَّخْلُ الصّافي الَّذي يُحَقِّقُهُ التّاجِرُ أَوْ رَبُّ العَمَلِ بَعْدَ دَفْعِ مُخْتَلِفِ نَفَقاتِهِ (الَّتي تَشْمَلُ تَكْلِفَةَ الإِنْتاجِ وَالنَّقْلِ وَالدِّعايَةِ، وَكُلْفَةَ رَأْسِ المالِ وَالمَباني وَأُجورَ المُوَظَّفينَ وَغَيْرَها) أَمّا إِذا زادَتِ النَّفَقاتُ عَلى الدَّخْلِ فَإِنَّ صاحِبَ العَمَلِ يَتَحَمَّلُ خَسارَةً قَدْ تُطيحُ بِمُسْتَقْبَلِ عَمَلِهِ.

الضَّريبَة: مالٌ تَسْتَوْفيهِ الدَّوْلَةُ مِنَ المُواطِنينَ كَيْ تَقومَ بِوَظائِفِها وَتُوَفِّرَ لَهُمْ مُخْتَلَفَ الخَدَماتِ (كَالعِنايَةِ الصِّحِّيَّةِ وَالتَّعْليمِيَّةِ وَحِفْظِ الأَمْنِ وَإِنْشاءِ الطُّرُقِ وَالمَرافِقِ العامَّةِ). وَتَفْرِضُ الدَّوْلَةُ ضَرائِبَ مُباشِرَةً (تَصاعُدِيَّةً أَحْيانًا) عَلى الدَّخْلِ، أَوْ غَيْرَ مُباشِرَةٍ عَلى البَضائِعِ الاِسْتِهْلاكِيَّةِ. (وَالضَّرائِبُ غَيْرُ المُباشِرَةِ أَقَلُّ عَدالَةً إِذْ يَتَساوى في دَفْعِها الغَنِيُّ وَالفَقيرُ).

عُمْلَة: النُّقودُ المَعْدِنِيَّةُ أَوِ الوَرَقِيَّةُ الَّتي يَتَعامَلُ بِها النّاسُ في قُطْرٍ ما – بَيْعًا أَوْ شِراءً أَوِ اسْتِئْجارًا.

مُقايَضَة: مُبادَلَةُ شَيْءٍ بِآخَرَ دونَ وَساطَةِ النُّقودِ، وَقَدْ كانَتِ المُقايَضَةُ في الماضي سَبيلَ النّاسِ في التَّعامُلِ، لَكِنَّها اليَوْمَ آخِذَةٌ في التَّلاشي، أَوْ هِيَ فِعْلًا قَدْ تَلاشَتْ كَنِظامٍ تِجارِيٍّ.

مَســـرَد (كَشّاف)

مكتبة لبنان
ساحة رياض الصلح، ص.ب: ٩٤٥-١١
بيروت، لبنان

الطبعة الأولى،
طُبِعَ في لبنان
رقم الكتاب 01 C 195016

كتب الفراشة

المرحلة الأولى

١. القَمَر
٢. الجِبال
٣. المَطَر
٤. الأَنهار
٥. النَّفط
٦. الوَرَق
٧. حَيوانات الصَّحْراء وطُيورها
٨. نَباتات الصَّحراء وأَزْهارها
٩. الواحات
١٠. المُحيطات والبِحار
١١. سُفُن الفَضاء
١٢. الأَدْغال
١٣. الزُّجاج
١٤. القُطْن
١٥. الجِمال
١٦. النيل
١٧. الشَّمْس
١٨. الخَشَب
١٩. الحَديد والفولاذ
٢٠. الجُلود
٢١. الأَسْماك
٢٢. الطُّيور
٢٣. التَّمويه: وسيلة دفاع طبيعيّة
٢٤. الجَواد العَربيّ
٢٥. السَّيّارات
٢٦. الثِّياب
٢٧. الدَّواليب (العَجلات)
٢٨. الصّوف
٢٩. الحَيوانات في خِدمة الإِنسان
٣٠. الدَّيناصورات
٣١. الطّائرة والطَّيران
٣٢. السُّفُن
٣٣. الخُبْز
٣٤. الجُزُر
٣٥. بيوت الحَيوانات
٣٦. الأَشْجار
٣٧. النُّقود

المرحلة الثانية

١. الأَرْض
٢. الوَقْت
٣. النّار
٤. الهَواء
٥. الماء
٦. الحِرَف اليَدويّة في العالَم العربيّ
٧. المُستشفى
٨. الآلات الموسيقيّة
٩. التِّجارة
١٠. الطَّقس والمناخ
١١. المنطقتان القطبيّتان
١٢. عالَم الكتب
١٣. استِزراع الصَّحاري
١٤. المَطارات
١٥. المَزارع
١٦. الإسقاء والرَّيّ



كتب الفراشة

٩. التجارة

كتب الفراشة سَلاسِلُ مَرْحَلِيَّةٌ مِنْ كُتُبِ المَعْرِفَةِ المُصَوَّرَةِ غَنِيَّةٌ بالمَعْلوماتِ المُفيدَةِ والقِصَصِ المُخْتارَةِ في شَتَّى المَجالاتِ.

هَذِهِ السَّلاسِلُ، بِمَوْضوعاتِها الفَريدَةِ وتَراكيبِها السَّلِسَةِ المُتَدَرِّجَةِ وَرُسومِها الرّائِعَة، مَكْتَبَةٌ مُتَكامِلَةٌ تَجْمَعُ إلى ثَرْوَةِ المَعْلوماتِ ومَناهِلِ الثَّقافَةِ مُتْعَةَ القِراءَةِ وتَشَوُّقَ الاسْتِطْلاعِ.

المَرْحَلَةُ الثّانِيَةُ مِنْ كُتُبِ الفَراشَةِ تُقَدِّمُ إلى القارِئِ في هَذا المُسْتَوى مَدْخَلًا شامِلًا إلى مُخْتَلِفِ مَواضيعِ الحَياةِ اليَوْمِيَّةِ لِتَظَلَّ كُتُبُ الفَراشَةِ في مَراحِلِها المُتَدَرِّجَة المَرْجِعَ الأَمْثَلَ لِنَشاطاتِ الطُّلّابِ العِلْمِيَّةِ والثَّقافِيَّةِ– في المَدْرَسَةِ كما في البَيْتِ.



مكتبة لبنان